

الصهيونية وفلسطين

د. حسن العلكيم

تكمّن قضية فلسطين في ان الدول الامبريالية الغربية، وفي مقدمها بريطانيا، قررت منح الصهيونيين دولة في فلسطين. وتعود جذور هذه المشكلة الى مؤتمر بازل، في سويسرا، في العام ١٨٩٧، والذي يعدّ أول مؤتمر صهيوني يدعو الى اقامة دولة لليهود. ويأتي هذا المؤتمر بعد دعوات متكررة نادى بها زعماء الصهيونية الحديثة، وفي مقدمهم ثيودور هرتسل، بوجوب انصهار اليهود في بوتقة المجتمعات التي يعيشون فيها؛ إلا ان المجتمعات الأوروبية كانت تنظر الى اليهود على انهم شذمة من البشر كانوا وزاء قتل السيد المسيح كما يدعون، وعلى انها فئة محتكرة لرؤوس الاموال، وانها وراء العديد من المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية، التي تعاني منها مجتمعاتهم. وصار العداء للسامية، الذي كانت تمارسه أوروبا، سلاحاً ذا حدين لصالح الحركة الصهيونية الحديثة. فمن ناحية، أدركت القيادات الصهيونية صعوبة تقبل المجتمعات الأوروبية للفئات اليهودية؛ فمثلاً تغيرت قناعة هرتسل بعد ان ذهب الى فرنسا لتغطية محاكمة ضابط يهودي يدعى درايفوس، لأنه استنتج ان الحكم قد أعد مسبقاً، وأرجع ذلك الى «الذعة العدائية» التي يكنها الشعب الفرنسي لليهود. ومن ناحية أخرى، فلقد عملت حكومات الدول الأوروبية على دعم المطالب الصهيونية، رغبة منها في ابعاد اليهود من الهجرة الى دولهم.

نبذة تاريخية

أجمع المؤرخون على ان فلسطين أرض كان يقطنها الكنعانيون الذين يمتد تاريخهم الى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، الذين سكنوا الشام بما فيها فلسطين، ثم دخلها العدنانيون، الذين يرجع تاريخهم الى ما قبل خمسة آلاف سنة. ويعرف كنعان على انه جدّ من أجداد العرب. وأرجح الأقوال تؤكد ان القبائل الكنعانية التي استوطنت فلسطين جاءت من الجزيرة العربية. ويجمع مؤرخو العرب والافرنج على ان الكنعانيين قبائل عربية استوطنت فلسطين قبل آلاف السنين من ظهور الحركة الصهيونية، وفي وقت لم تكن فلسطين موضوع خلاف أو نزاع.

ورأى الباحثون ان اليهود بدأوا بالهجرة من فلسطين في القرن الاول الميلادي، لاشيء إلا رغبة في استيطان المدن التجارية المزدهرة سعياً وراء الربح. ومنذ ذلك الحين، لم يبق لليهود أية صلة بفلسطين، ولم يفكروا في العودة اليها. كما أكدت الدراسات التاريخية انه لم تقم أية دولة يهودية في التاريخ باستثناء مملكة داوود، وان يهود اليوم ليست لهم أية صلة باليهود الذين كانوا يعيشون في مملكة داوود، في حين كان ساحل فلسطين مسكوناً من قبل ذلك بالآلاف السنين بشعب يدعى بالفلسطينيين، جاءوا من جزر في البحر الابيض المتوسط واستقروا على الساحل. ولقد اندمج